

## الفن والعلم

يحاول العلم ان يقدم لنا الحقيقة عن الموضوعات التي يدرسها سواء كانت حجراً او نباتاً او حيواناً وبهذا المنهج تقدمت الحضارة . فالتفسير العلمي يرد المركبات الى عناصرها – فالعلم يرد الجسم الى خلايا بيولوجية او المادة الى عناصر كيميائية ،والحياة السيكلوجية ترتد الى عناصر بسيطة هي الاحساسات – والعالم لا يكتفي بوصف الحقيقة دائماً بل يعنى بتفسيرها اي فهم الظواهر المختلفة على انها نتائج لا سباب ،فالوصف والتفسير اساسيان في البحث العلمي والوصف يستلزم التفسير مثلاً ،حينما يتحد العالم عن مياه البحر فهو يذكرنا انها تحتوي على ملح ولتحقيق صحة ذلك وتفسيره سوف يحضر كمية من الماء فييخرها ليرينا الملح .

فالتفسير الذي يقدمه العالم لا يبين لنا حقيقة الشيء في ذاته ولكن يخبرنا عن النتائج التي نحصل عليها منه تحت ظروف معينة .

والمهم في العلم ليس تنظيم المعلومات وتصنيفها فحسب ،بل المهم هو ربطها والعمل على تفسيرها ايضاً ،ولهذا فقد وصف بعضهم العلم بأنه مجرد (تفسير منهجي يقوم على ربط المعرفة وتصنيفها ) . ومعنى هذا ان السمات المميزة للبحث العلمي هي التفسير ،واقامة علاقات الارتباط او التوقف بين القضايا التي قد تبدو في الظاهر غير مترابطة ،والعمل على تنظيم العلاقات القائمة بين عناصر المعرفة المتباعدة او المشتتة بطريقة منهجية واضحة . وربط شتى تجاربنا من اجل وضعها في نسق منطقي محكم فالعالم يكشف لنا عما تنطوي عليه الظواهر من انماط العلاقات لكي لا يلبث ان يقوم بعملية (توحيد ) يحاول فيها التأليف بين هذه العلاقات على صورة (نظام استنباطي) يجعل منها مبادئ منطقية صارمة .

فالعلم يعنى بالعلاقات السببية بين الاشياء ،وكثيراً ما نظن ان العالم يخبرنا عن الاشياء ولكنه في واقع الامر يصف لنا علاقات الشيء بغيره من الاشياء الاخرى والحقيقة ان معرفة هذه الارتباطات بين الظواهر وبعضها له عظيم الاهمية حيث اننا نرتب سلوكنا وافعالنا على ضوء معرفتنا بهذه الارتباطات

وهذه النظرة العلمية تختلف عن النظرة الفنية التي تجعلنا نركز انتباهنا على خصائصه ونعزله عن غيره فاننا نقرب من تقدير قيمته الجمالية .

فمعنى اخر يكون الارتباط هو اساس النظرة العلمية في حين يكون الانعزال هو العملية الاساسية في التذوق الفني او المعرفة الفنية .

ولتوضيح هذا المعنى مثلاً فموقف العالم ونظرته الى البحر فهي تتجه في الغالب الى البحث في عناصر المادة التي تتركب منها مياهه او البحث في استعماله او مما يمكن ان يترتب عليه من فوائد تستغل منه ،اما لو اكتفينا بتأمل البحر بحيث يحدد نظرنا اليه في تأمل لون مياهه وصوت امواجه فعندئذ يكون موقف للتذوق الجمالي ،ولاشك ان الفنان هو القادر خلق هذه الاستجابة عند الجمهور المتلقي بما يضمنه عمله الفني من وسائل وقيم يستجيب لها المتلقي .

وهناك فارق بين المعرفة العلمية والمعرفة الفنية ،فالعلم حينما يقدم الحقيقة العلمية وارتباطاتها انما يقدمها لكل زمان ،فهو متى ما وصل الى حقيقة يسلم بها الجميع ،فالمعرفة العلمية لا تلغي ما قبلها فهي تراكمية ،فالانجازات السابقة تمثل ارضية واسباب للانجاز الجديد .

فمثلا نظرية فيثاغورس بعد ان اكملها لا يمكن ان تعاد الى الوجود وا لخلق مرة اخرى ولكن يستفاد منها في التطبيقات العلمية.

اما في الفن فالعكس هو الذي يحدث لان الفنان متى قدم عملا فنيا فانه لا علاقة له بكل ما قدم سابقوه ،ولذلك فان الموضوع الفني حين يطرقه الفنان فانما على نحو مختلف ومخالف لكل الطرق التي طرقة بها غيره من السابقين المعاصرين له ،اي ان الموضوع الفني الجمالي يمكن ان يتناوله الفنان بطريقة جديدة كل الجدة ،فمثلا العذراء مريم يمكن ان تصور ويعاد تصويرها والى ما لانهاية حتى بعد رفاتيل كما في شكل ( 1 ) لوحة لرفائيل، وشكل ( 2 )



شكل ( 1 )



شكل 2

وكذلك ستعاد وتكرر قصائد الحب على انحاء مختلفة وهذا يؤدي الى القول بان العلم يسير الى الامام في اتجاه تقديمي وكل جيل ياتي ليعرف اكثر مما عرفه السابق عليه اي ان في العلم تقدم ولكن الفن لا يعرف مثل هذا التقدم لان كل عمل فني هو شيء له وجوده الخاص ليس له علاقة بما سبقه من اعمال مماثلة وقد يكون في تاريخ الفن استمرار حين ينظر الفنان الى الاعمال بواسطة الخبرة المتراكمة عبر الاجيال.

ولا يمكن الجزم بان العلم والفن لا يتمتعان بخصائص مشتركة المنطق العلمي كثيرا ما يسدد وجهة الفنان بشكل سليم بحيث يمكن الافادة من الحقائق العلمية كما هو حاصل في العمارة والموسيقى والسينما وفي ميادين الفنون الاخرى .

ففي عصر النهضة وبسبب نمو النزعة التجريبية ومحاولة تحيد الطابع التأملي المثالي، اصبح امام الفنان مجال واسع لتقبل طروحات العلم فلو توقفنا عند لوحة (الجيوكوندا) العمل الشهير نجد الجمال الذي ينضح به العمل لا يقف عند حدود انها مبتسمة او فاتنة وانما هناك صلة قوية بين العلم والفن تحققت وعلاقات اللون بين بين خيال الفنان ومنطق الهندسة. ثم اصبحت مثال جمالي، شكل ( 3).



كما ان الانطباعية التي تعتمد منطق العلم وسميت بالواقعية العلمية باعتمادها تبدل الاشياء ودراسة حركة الضوء في الزمان والمكان المعنيين ، وكذلك نجد الحركة المستقبلية وكل الفنون التي تزوج بين الذاتي والموضوعي ، والتكعيبية التي تعتمد فروض العلم ، فطروحات سيزان وخلق رؤية جديدة للأشياء تعتمد على التداخل الزماني والمكاني وتراكب المستويات واعتماد منظور عين الطائر ، وبراك وبيكاسو الذين طوروا طروحات سيزان .